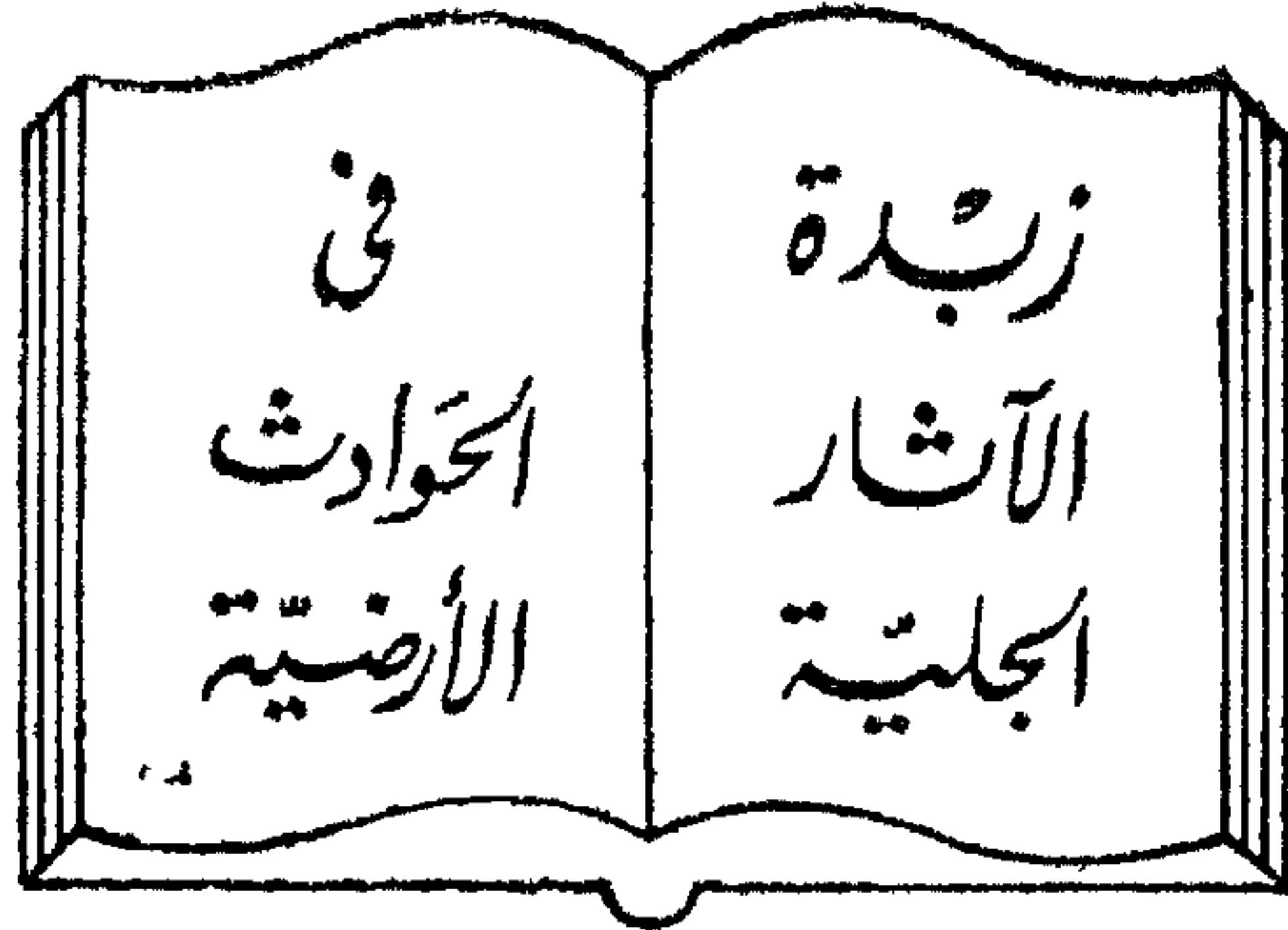


تعريف ونقد



تأليف :
ياسين بن غير الله العمرى

انتخب زبدته : داود الجلبى
حققه وعلق عليه : عماد عبد السلام معروف
تعريف ونقد : محمد عبد الفتى حسن

أو فصلاً ، جعل لها ملحقا بأخبار السنين
حتى سنة ١٢٠٩ هـ ، أى قبل وفاته بثلاثة
وعشرين عاماً . بهذا كان الكتاب جمعاً
ونقلاً فى أكثره ، ومشاهدة وسامعاً فى
أقله ، وهو القسم الذى عاش المؤلف فيه
خلال عمره .

وتجد فى هذا الكتاب منهجاً تاريخياً
اتخذه المؤلف ، حيث رتبته أو رتب الحوادث
فيه على اثنتى عشرة مقالة ، تمثل كل مقالة
منها تاريخ قرن هجرى بأكمله ، ورتب
حوادث السنين فى كل قرن ، ولم يرتب
السنوات المتتالية ترتيباً متتالياً ، بل يأتى
بالسنوات على حسب ما تحمله من أحداث ،
فقد يسقط عاماً أو أكثر مادامت الحوادث
هنا لا تمده بما يريد . فنجد فى القرن الثانى
عشر الهجرى مثلاً أحداث السنوات هكذا :
سنة ١١٠٢ . سنة ١١٠٤ . سنة ١١٠٦ .
سنة ١١٠٩ . سنة ١١١٠ . سنة ١١١١ .
سنة ١١١٤ . سنة ١١١٧ . سنة ١١١٩ .
سنة ١١٢٣ . سنة ١١٣٣ . سنة ١١٣٧ . سنة ١١٣٩ .
سنة ١١٤٢ . سنة ١١٥٥ وهكذا إلى

هذا كتاب لعالم عراقى أربت مؤلفاته
على العشرين ، وعاش فى النصف الثانى
من القرن الثامن عشر الميلادى ، وأدرك
ستة عشر عاماً من القرن التاسع عشر ،
حيث أدركته المنية فى سنة ١٨١٦ :

وقد دخل الكتاب ميدان التراث العربى
الإسلامى يوم أوصت لجنة إحياء التراث
فى المجمع العلمى العراق سنة ١٩٧٣
بتحقيقه ونشره ، لما فيه من معارف تاريخية
طريقة تتصل بالتاريخ الإسلامى العربى العام ،
بدءاً من سنة الهجرة النبوية ، ولاهتمامه
بالتاريخ السياسى والاجتماعى للعراق فى
العصور الأخيرة ، وخاصة فى القرنين
الثامن عشر والتاسع عشر . . .

ولقد عاصر ياسين العمرى المؤرخ أحداث
العالم العربى والعراق فى النصف الثانى من
القرن الثامن عشر حتى وفاته ، وشاهد كثيراً
مما يجرى حوالیه معاينة أو سماعاً وسجل ذلك
فى الفصول الأخيرة من كتابه ، حيث
أسماها مقالات بلغت اثنتى عشرة مقالة

آخر القرن لا تجد السنين متوالية سنة إثر أخرى ، ولكن تجد فجوات وثغرات وفقاً لما تحمله الأيام من أحداث ، فالمؤلف ينتخب من السنين أملاًها بالأخبار ، وأحفلها بالحوادث ، ويرتبها في غير توال : ويذكر الأخبار في غير تفصيل ، فقد تكون السنة المؤرخة سطرين ، وقد يزيد ذلك إلى عشرات من السطور . . .

وجاء المؤرخ المعاصر الدكتور داود الحلبي الطبيب المؤلف ومن أهل زماننا هذا ،

والعضو المراسل بمجمعنا القاهري ، ومجمع دمشق ، ومجمع العراق ، والمتوفى سنة ١٩٦٠ فاطلع على كتاب (الآثار الحلية في الحوادث الأرضية) لياسين العمري ، فوجد فيه مادة خصبة دسمة حول تاريخ الموصل التي ولد فيها والتي ينتمى إليها ويهتم بأخبارها ، فاختر من (الآثار) القسم الخاص بتاريخ الموصل وهي موضع اهتمامه ، فعكف على كتاب العمري : الآثار الحلية ، فأعاد ترتيبه وتبويبه ، واختصره بل حذف منه أخبار الزمان منذ الهجرة النبوية إلى القرن السابع الهجري ، أو بالضبط سنة ٦٣٢ هـ ثم جمع من القسم الباقي من الأصل الفقرات الخاصة بتاريخ الموصل منذ القرن السابع حتى سنة تأليف الكتاب سنة ١٢٠٩ هـ . وجمع بعد ذلك كل الفقرات المتصلة بتاريخ الولايات العربية منذ الفتح العثماني لمصر والشام في الخمس الأول من القرن العاشر

الهجري في عهد السلطان سليم الأول حتى زمن تأليف الكتاب ، وجعل ذلك ذيلًا على القسم الخاص بتاريخ الموصل .

وتظهر الروح العربية في اختصار الآثار الحلية وتحويلها إلى (الزبدة) ، فأن الدكتور داود الحلبي لم يهتم بأخبار التاريخ العثماني ما دامت ليست لها أدنى صلة بتاريخ العراق والعالم العربي في ذلك العصر ، بل جعل العالم العربي والعراق موضع اهتمامه ، ومناط عنايته :

ويبدو مما صنعه المرحوم الدكتور داود أن اختصار (الآثار) لم يكن يعنيه قدر عنايته بأخبار الموصل والعراق والعالم العربي منذ القرن السابع الهجري . فالتركيز في (الزبدة) على أخبار العراق والموصل والولايات العربية التي كانت تابعة للخلافة العثمانية . . .

ولقد كانت مهمة الدكتور الحلبي شاقة حين وجد نفسه أمام نص لكتاب (الآثار الحلية) ضعيف الأسلوب ، جانح إلى العامية ، مملوء بأخطاء اللغة والنحو . . وكذلك وجد محقق الكتاب : الأستاذ عماد عبد السلام رءوف نفسه أمام هذا النص الضعيف السبك ، غير سليم العبارة ، قائر أن يتيقنه على حاله ، لا يصلح فيه شيئاً ولا يغير فيه عبارة ، ولا يُعجى عليه قلماً ، إلا ما أصلحه من أخطاء اللغة والنحو ، حفاظاً على أصل الكتاب ،

وإبقاء على أساليب العصر الذي ألف فيه،
وعده (من هذه الناحية وثيقة أدبية تكشف
عن حال اللغة والأدب في فترة معينة
من الزمن ، إضافة إلى كونها وثيقة تاريخية .
ومن هنا فقد حرصت على إبقاء الكتاب
بألفاظ مؤلفه دون تعديل أو تغيير) .

وقد أنصف المحقق باتباع هذا المنهج
السليم في التحقيق ، فإن الكتاب في أصله
وفي اختصاره وزبدته أمانة لا يجوز التصرف
فيها ، وباليته التزم المنهج كله فيما يتصل
بأخطاء اللغة والنحو ، فتركها في متن
الكتاب على حالها كما جاءت عند المؤلف
والختصر ، وأحال عليها في الهامش بالإصلاح
الذي يراه ، حتى نكون أمام نص أمين
مطابق للأصل .

والحق أن التزام الأستاذ عماد في التحقيق
بما ألزم به الدكتور الحلبي نفسه في
الاختصار والتبويب والترتيب هو إبقاء
على أصل لم يكن ليحوز التغيير فيه أو
المساس به . ولكن الأستاذ عماد قد أضفى
على (الزبدة) بل على (الآثار) نفسها
كثيراً من جهوده العلمية الخاصة ، فأثبت
ماورد على هامش (الآثار الحلبي) من
تعليقات وفوائد وتصويبات تاريخية ، ونبه
إلى ماوقع فيه صاحبها من هفوات ، وكذلك
فعل فيما كتبه الدكتور داود الحلبي من
تعليقات قليلة على صفحات (الزبدة) .

وأطال المحقق تتبعه لما ساقه العمري
في الآثار من أخبار ، فهو يقف أمام
النص ويزنه بميزان التاريخ الصحيح ،
ويوازن بينه وبين المصادر التي نقل عنها
العسري ، سواء أشار العسري إلى مصادر أم لم
يشر . وقد ضاعف ذلك من مشقة المحقق ،
فهو يراجع الخبر أو الحادثة في مصادر
مختلفة : مخطوطة ، أو مطبوعة ، ويتحقق
من روايات المؤلف العمري وأخباره .
فإذا وجد خلافاً في الرواية ، أو اختلافاً
في النقل أشار إليه في هوامش الكتاب .

وزاد المحقق عبثه في التحقيق بما
لا تلمس الراحة عنده ، فهو لا يمر على
الألفاظ والمصطلحات والإشارات من
الكرام ، ولكنه يقف أمامها يشرحها ،
ويقدها إلى القارئ واضحة المدلول ،
ظاهرة المعنى في غير لبس ولا خفاء .

ولم يكتف المحقق بهذا ، ولو فعل لما ركه
عيب أو ملام ، ولكنه زاد أيضاً فترجم
للأعلام التي وردت في الكتاب تراجم
وجيزة مفيدة ، وهو بهذا من المحققين
الذين يضمنون أنفسهم ليسرروا على قرائهم ،
وعلق على أسماء المدن والنواحي والأبنية
والمشاهد تعليقات مختصرة مفيدة تحدد
مواقعها ، وتوضح غامضها .

ولقد سقطت من النص كلمات لم يدع
المحقق مكانها فراغاً ، ولا موضعها بياضاً ،

ولكنه سد الثغرات ، وملاً الخلل بإضافات
أضافها ورأى أن السياق يقتضيها ، أو
المصادر تؤيدها ، وبهذا ظهر النص مملوء
الفجوات ، مسدود الثغرات .

لقد وقع تحقيق كتاب (زبدة الآثار
الجلية ، في الحوادث الأرضية) في
عشرين وثلاثمائة صفحة ، وهو قدر من
الصفحات قد يبدو قليلاً بالنسبة إلى كتب
محققة ضخمة كبيرة الصفحات ، ولكنك
تشعر وأنت تستعرض هوامش المحقق
وتحقيقاته وتعليقاته وتصويباته أنك أمام
جهد علمي موفق كل التوفيق ، مضمّن كل
الضنى (ولا يعرف الشوق إلا من يكابده) .

وماظنك يا قارئ الكريم بمحقق يرى
المؤلف يروى حادثة على أنها وقعت
في سنة ١١٥٠ هـ فيعلق على ذلك بقوله :
(الصحيح أن هذه الحادثة كانت سنة ١١٥٢ هـ
ويؤيد ذلك ويؤكد به بضبط تاريخي للشيخ
عبد الله السويدي الشاعر العراقي من ختام
قصيدة مدح بها الوالي أحمد باشا ، كما جاء
في مخطوطة (حديقة الزوراء) ، وما جاء
في كتاب (دوحة الوزراء) للكركوكل ؟

وما ظنك أيها القارئ بمحقق يرى
المؤلف يذكر أن والياً أكمل عمارة قلعة
الموصل سنة ١١٥٧ هـ ، فيصحح ذلك بقوله :
(الصحيح أن إكمال عمارة القلعة كان سنة
١١٥٨ هـ ، كما في شطر التاريخ الذي
نظمه قاسم الراعي :) ؟

وما ظنك بمؤلف يذكر أن الوزير مصطفى
باشا الشهير بابن عظم ولي مدينة الموصل
سنة ١١٦٩ هـ فيأتى المحقق ويعلق على ذلك
في الهامش بقوله : (الصحيح أنه تولى
الموصل سنة ١١٧٠ هـ ، كما في سالنامه
الموصل سنة ١٣٢٥ ص ٨٦ ، وكما ذكره
هو - يعنى المؤلف العمري - في
منية الأدباء) . وماظنك بمؤلف يقول
في حوادث سنة ١١٨١ هـ : (زاد
الدجلة ونهر الفرات ، ودخل الماء إلى
الرقبة وهدم فيها نحو مائتي بيت . .)
فيأتى المحقق ويعقب على « الرقبة » بقوله
(كذا جاءت في الآثار والمخطوطة ، ولم
نعلم موضعاً ببغداد أو في أطرافها يحمل
هذا الاسم ؟

وماظنك بمؤلف - كالعمري - يقول
في حوادث سنة ١٢٠٠ هـ (. . فلما
قدم محمد باشا إلى الموصل ، حمل معه
فلوساً جددًا كباراً حسنة الشكل من بغداد)
فيعلق المحقق على ذلك بأن مصادر النميات
ليس فيها ما يشير إلى أن الفلوس كانت
تضرب في بغداد في الفترة الممتدة من سنة
١١٠٢ هـ إلى سنة ١٢١٢ هـ ؟ وما ظنك
بمؤلف يقول في حوادث سنة ١٢٠٢ هـ
أن إسماعيل باشا - والي العمادية - صالح
ابن أخيه « قباط » فيعلق المحقق على ذلك بأن
اسم « قباط » ورد هكذا بالأصل ، والصحيح
أنه « قباد » كما جاء في سائر المراجع ؟

وماملنك بمؤلف يقول في حوادث سنة ٩٤٠ هـ أن السلطان سليمان عزم على فتح بلاد العجم ، فأرسل أمامه بالعساكر الوزير الأعظم إياس باشا ، فيأتى محققنا الفاضل ويعلق على هذا بقوله : (الصحيح أنه أرسل أمامه الصدر الأعظم إبراهيم باشا ، كما في النهروالى : الأعلام ١٩٨ .

أما إياس باشا فإنه تولى الصدارة سنة ٩٤٢ . وطبعاً يقصد المحقق بالأعلام كتاب (الأعلام بأعلام بيت الله الحرام) لقطب الدين النهروالى . وهذا من إجازات المحقق الكثيرة التى كنا نود لو لم يوجز فيها حرصاً على منفعة القارىء وإفادته .

وتعليقات المحقق كثيرة وكاشفة لكثير من غوامض المؤلف التى أنتجها عصره . ففي حوادث سنة ١١٩٣ هـ المقابلة سنة ١٧٧٩ يقول المؤلف العمري رحمه الله : (وفيها ظهر فى الموصل للنصارى دين جديد يسمونه المسيحى) ، فلا يقف المحقق صامتاً أمام هذا النص الغريب الموقع فى اللبس والوهم فيقول : (يريد الكشلكة . فأن المبشرين الكاثوليك كانوا يسمون أتباع المذاهب الشرقية الذين يتكثلكون : مسيحيين ، تمييزاً لهم عن الذين بقوا على عقائدهم القديمة) .

وفى حوادث الفتح العثمانى لمصر سنة ٩٢٢ هـ ، سنة ٩٢٣ هـ يورد ياسين بن خير الله العمري مؤلف (الآثار الجلية) أخباراً وحوادث نقلها عن مصادره

المختلفة ، فيصححها المحقق بالرجوع إلى مصادر أخرى ، فحين يذكر العمري أن السلطان سليم دخل مصر وصلى الجمعة الثانية ، وألبس خطيب المسجد ثلاث خلع وأعطاه ثلثمائة دينار ، يعلق المحقق بأن هذه الحادثة كانت فى حلب لا فى مصر .

وحين يذكر العمري أن سليماً ارتحل إلى المقياس وبني فيه قصراً ، يعلق المحقق بما نقله هو عن ابن أياس المؤرخ من أن السلطان سليماً أقام فى المقياس نفسه ، أى لم يبن فيه قصراً .

وكنت أود أن يعلق المحقق على الشعر الذى أورده العمري وقال إنه كتبه بيده على أحد جوانب القصر فى المقياس . والبيتان مشهوران ، وهما كما جاء فى (الآثار) :

الملك لله من يظفر بنيل منى
يردده قسراً ويضمن بعده الدركا
لو كان لى أو لغرى قدر أنملة
فوق التراب لكان الأمر مشتركاً

وقد يوهم النص أن السلطان سليماً هو صاحب البيتين لا كاتبهما بيده على قصر المقياس ، فهل كان سليم يجيد نظم الشعر العربى إلى هذه الدرجة التى لا يدركها عربى صميم ؟ الحق أن هذه قضية كانت تحتاج إلى وقفة من المحقق وصولاً إلى الحق . والحق أن لى كلاماً فى هذه القضية أورده هذا للمحقق الفاضل فقد يكون قد غاب

عنه، وأورده لكل مشغل بالبحث التاريخي،
فقد أورد المؤرخ نجم الدين الغزى صاحب
«الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة»
والمتوفى سنة ١٠٦١ هـ في كتابه هذا أن
السلطان سليما كان (يحب مطالعة التواريخ
وأخبار الملوك ، وله نظم بالفارسية
والرومية والعربية منه ما ذكر القطب
الهندي المكي أنه رآه بخطه في الكوشك
الذي بنى له بروضه المقياس بمصر ونصه :
الملك لله من يظفر بنيل منى

يسلمه قسرا ومن ذا يضمن الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر أنملة
فوق التراب لكان الأمر مشتركا؟

ويبدو أن البيتين ليسا للسلطان ولاهما
من نظمه ، فما عرف عنه على الرغم من
حبه للمطالعة أنه كان يجيد العربية إلى
هذا الحد، وأنه كان ينظم فيها الشعر الجيد
الرصين . وقد وهم القطب الهندي المكي
فنسب إليه البيتين اللذين كتبهما بيده على
أحد جوانب القصر ولعلهما من محفوظه
ومقرؤه فأعجب بهما وبمعنى (فوات)
الأشياء فيهما ، فلدونهما على القصر في
المقياس القاهري ، وجاء نعيم الدين الغزى
فوهم وظن أن الشعر من نظم السلطان .
كما هو من مدوناته على القصر . وزاد

فجعل السلطان سليما ينظم الشعر بالعربية
كالفارسية والرومية .

ومهما يكن من أمر فإن التحقيق الدقيق
الوثيق الذي اصطنعه الأستاذ عماد عبد
السلام رعوف لكتاب (زبدة الآثار الحلية)
بل لكتاب الآثار نفسه هو عمل علمي يستحق
أن يهنأ عليه صاحبه . ولقد أنصف المجمع
العلمي العراقي بأسناد هذه المهمة إلى الأستاذ
عماد الذي جلال الكتاب في أوضح ملامحه،
وأصبح مضابطه، وليس ذلك بغريب على
باحث فاضل عرفنا له جهده الطيب في
(الآثار الخطية ، في المكتبة القادرية) التي
في جامع الشيخ عبيد القادر الكيلاني
ببغداد ، وعرفنا له فضله وجهوده في
تحقيق (زبدة الآثار الحلية) وتزويدها
بالفهارس النافعة المفيدة ، كفهرس أعلام
الناس والشعوب وفهرس الأماكن والبقاع
وفهرس الوظائف والمؤسسات الاجتماعية
وفهرس السفاواهر الاجتماعية والطبيعية
وفهرس النقود والموازين ، وفهرس المعدات
والأمتعة والملابس ، مما يعيننا على تصوير
المجتمع العربي الإسلامي الموصل والعراقي
وتصوره، في فترة من فترات تاريخه الحافل

محمد عبد الفنى حسن
عضو المجمع